لغة الجرائد

نعود الى الكلام في هذا الصدد اجابةً لاقتراح كثيرين من مشتركينا الادبآء سألونا المزيد منهُ لما يترتب عليهِ من عموم الفائدة بين الكتّاب والدارسين اذ لا يخفى ان المقصود منهُ لا ينحصر في الجرائد دون غيرها من كتابات العصر وانما خصصناها بالذكر لانها اعمّ تلك الكتابات انتشاراً واكثرها على الالسنة تكراراً حتى تجد الفاظها واساليبها قد انتقشت في اذهان القرّآء واصبحت لغتها هي لغة جمهور الكتّاب من ايّ طبقةٍ كانوا وفي ايّ معنًى كتبوا وسوآء كانوا في الديار المصرية ام الشامية ام في غيرهما من بلاد الهجرة

ولا يخفى ان تتبُّع كل وَهَم يقع في اللغة لعهدنا هذا مما يطول استقرآؤهُ مع ظهور الجرائد عندنا بالمئات وغالبها يومية ومع كثرة التآليف في هذه الايام من موضوعةٍ ومعرَّبة حالة كون اكثر الكتّاب من الذين يتناولون اللغة بالتقليد على ما سبقت لنا الاشارة اليهِ فاذا زلّ احدهم زلّ الباقون على اثرهِ ولا سيما اذا كان مظنّـةً للثقة . ولذلك فانا نحثّ ارباب الاقلام وعلى الخصوص الطبقة العالية منهم ان يتحرَّوا في استخدام الفاظ اللغة ما استطاعوا ولا يلقوا الكلام على عواهنهِ علماً منهم بان كل ما تخطّهُ اقلامهم يتناولهُ اصاغر الكتّاب بلا نكير واذا تمادى الامر على ذلك تبدَّل اكثر اللغة وضعاً واستعمالاً ولم يبقَ وجهٌ لفهمها وفيما اوردناهُ من ذلك من قبل وما سنوردهُ في هذا الفصل عبرةٌ كافية

فمن ذلك انهم يقولون بين كان زيدٌ في الدار دخل عمروٌ فيضيفون بين

الى الجملة وهي لا تضاف الا الى المفرد لان الاضافة الى الجُمَل مخصوصة بظروف الزمان نحو يومَ هم بارزون وهذا يومُ ينفع الصادقين صدقهم وما اشبه ذلك . فاذا لزم ادخال بين على الجملة فُصِل بينهما بما لتكفّها عن الاضافة فيقال بينما كان في الدار او أُشبعت فتحة نونها حتى يتولد عنها أَلِفٌ فيقال بينا كان في الدار . ومن الاول قول الشاعر

بينما نحن بالعقيق معاً   اذ أتى راكبٌ على جملِهْ

ومن الثاني قول الآخر

فبينا نحن نرقبهُ أتانا   مُعلّقَ وَفْضةٍ وزنادِ راعِ

ويقولون اقسم بان يفعل كذا فيعَدّون اقسم في هذا التركيب بالباء وانما الباء تدخل على ما تجعلهُ مورداً لقَسَمك تقول اقسمتُ بالله وحلفتُ بكل عزيزٍ عندي . واما الشيء الذي يُجعَل القَسَم توكيداً لهُ فيُجرّ بعلى تقول اقسمتُ على ان افعل واقسمت بالله على ان افعل . وهذا كما تقول عاهدتهُ على الامر وعاقدتهُ على ان افعل وفي الحديث نحن نازلون بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر اي تحالفوا عليهِ

ويقولون هو كفوٌ لهذا الامر اي اهلٌ لهُ او قوّامٌ بهِ وهو من ذوي الكفاءة بالهمز وانما الكفؤ النظير تقول هو كفؤٌ لفلان اي معادلٌ له والكفاءة المصدر من ذلك تقول لا كفاءة بيننا . واما المعنى الذي يريدونهُ فهو من معاني كفى المعتلّ يقال استكفيتهُ امر كذا اي كلفتهُ القيام بهِ فكفانيهِ وهو كافٍ لهذا الامر وكفيٌّ لهُ اي قوّامٌ بهِ وهو من اهل الكفاية

ويقولون بينهما شراكة يعنون شركة ولم يُسمَع الشراكة في كلامهم وانما

هي من الفاظ العامّة جروا فيها مجرى الوكالة والكفالة وما اشبههما من الفاظ المعاملات

ومثلها قولهم فعل ذلك خدامةً لفلان ولهُ قِبَلهُ خدامات كثيرة ولم ترد الخدامة من هذه المادّة ولا هي مما يحتملهُ القياس انما يقال فعلهُ خِدمةً لفلان وهي الخِدَم بكسرٍ ففتح مثل سِدرة وسِدَر

و يقولون بات القوم يشكون فداحة الضرائب اي ثقلها كانهم يتوهمون هـذا الحرف من المصادر اللازمة على حدّ الفظاعة والسماجة ونحوهما وانما الفعل من هذه المادّة متعدٍ يقال فَدَحهُ الحمل والامر فَدْحاً مثل قَطَعهُ قطعاً اذا شقّ عليهِ وأثقلهُ لم يُسمَع على غير ذلك

ويقولون عثر بالشيء اي اطّلع عليهِ وعلم بهِ وانما يقال بهذا المعنى عثر عليهِ واما عثر بهِ فمن عثار الرجل اذا اصطدمت بحجرٍ ونحوهِ

ويقولون خصوصاً وان الامر كذا وكذا فيزيدون واواً بعد خصوصاً ولا وجه لها في هذا الموضع . وكانهم يفعلون ذلك قياساً على لا سيما في مثل قولنا يعجبني زيدٌ ولا سيما وهو يتكلم او ولا سيما وانهُ يحبّ العلم وهي ههنا واو الحال اي ولا مثل هذه الحال من احوالهِ . وهذا لا يتأتى اعتبارهُ بعد خصوصاً فالصواب إسقاط الواو على ان ما بعدها مفعول بهِ لخصوصاً او معمول لمقدَّر حيث يحتملهُ وذلك كما اذا قلت احبّ القوم وخصوصاً زيداً اي واخصّ من بينهم زيداً او وعلى الخصوص احبّ زيداً ونصب خصوصاً في هذا التقدير الاخير على الحال

(ستأتي البقية)

ذكرى الهند

(تابع لما قبل)

وبعد ذلك زرنا حديقة الحيوانات في كلكتا وهي واقعة في غربيّ المدينة شرقيّ نهر الهوكلي وقد غُرست فيها الاشجار الباسقة وزُيّنت بالازهار البديعة وفُرشت ارضها بالنبات الاخضر وكل ذلك على ابدع شكل والطف ترتيب وأُقيم بين كل فسحةٍ واخرى عرائن وأوجرة واوكار لاكثر انواع الحيوان . وقدشاهدنا فيها كل اصناف القرود من الصيني والهندي والافريقي وهي كثيرة العدد بين كبير الجثة وصغيرها . ثم مررنا على مكان الوحوش المفترسة من الاسود والنمورة والفهود والذئاب والدِبَبة والافيال والثعالب وغيرها ثم مكان الافاعي وفيهِ اكثر اصنافها وقد وُضعت كل واحدة منها في مكان يوافق غريزتها وبيئتها الطبيعية فجُعل بعضها بين الصخور الوعرة وغيرها بين الهشيم اليابس او العشب الاخضر وبعضها في احواض الماء . وقد رأينا بينها حيّة سوداء ضخمة جدًّا تبلغ مترين طولاً ومحيط جسمها نحو اربعين سنتيمتراً . ثم اتجهنا نحو اعشاش الطيور فرأينا هناك كل ما يأخذ بالبصر حسناً وينطق بتمجيد الخالق عزّوعلا فمنها البلبل والكناري والهدهد والقُمريّ والطاووس والنسر والبازي والقطا مئاتٍ عديدة وغالبها من اطراف المعمور من الصين وافريقيا والهند واميركا واوربا . ففي هذه الحديقة يُسمَع التغريد والمناغاة والصفير والهدير والزُقاء والنعيق والصرصرة والعندلة والسجع والزئير والنئيم والفحيح وغير ذلك كلٌّ يعطي الصوت الذي خصهُ بهِ المبدع .

وفي هذه الحديقة رأينا لاول مرة الكركدّن اي وحيد القرن وهو مولود في هذه الحديقة نفسها منذ اربع عشرة سنة ورأينا فيها التمساح وهو موضوع في حوض مآء ويبلغ طولهُ زهآء مترين . وفي الحديقة بحيرة فيها قوارب صغيرة لمن شآء الركوب والجولان في البحيرة وفيها اسماك متنوعة

وفي اثنآء ذلك زرنا اللورد كرزن الحاكم العام على الهند الانكليزية بعد ان استأذنّاهُ بواسطة كاتب اسراره المستر وُلتا لورنس فركبنا في اليوم المعيَّن للزيارة حتى اقبلنا على دار الحكومة حيث يسكن الحاكم . ولما دخلنا باب القصر كان على الباب جنديّان قائمان فرفعا بنادقهما تحيةً لنا ولما بلغنا الباب الداخلي استقبلنا احد الخدم فدفعنا اليهِ بطاقة الزيارة فاوصلها الى كاتب الاسرار المشار اليهِ فما عتم ان ارسل احد الحجّاب يدعونا اليهِ في الطبقة العليا فسرنا حتى دخلنا غرفتهُ وجلسنا عندهُ هنيهةً نتجاذب اطراف الحديث وهو يتكلم بالعربية وقد تعلمها في مصر . وكان قد بعث بالبطاقة الى سعادة اللورد فما لبث ان جآء حاجبهُ الخاص يدعونا الى الدخول على سعادتهِ ومشى امامنا الى الردهة التي هو فيها . فلما دخلنا عليهِ نهض واقفاً واستقبلنا بكل انس واجلسنا بالقرب منهُ فلبثنا عندهُ نحو خمس عشرة دقيقة. ثم قمنا للانصراف فودّعنا كما استقبلنا وقد رأينا من لطفهِ وسعة صدرهِ ما اطلق لساننا بمدحهِ والثنآء على محاسن اخلاقهِ. وقد كان لهذه الزيارة ذكرٌ في جميع انحآء كلكتا لندور مثلها وفي اليوم التالي لها ظهرت جريدة « الانجلش مّان » (الرجل الانكليزي) فجآء في اخبارها المحلية « ان رئيس اساقفة بغداد نزيل كلكتا حالاً قد أُذِن لهُ في مواجهة سرية لسموّ الحاكم العام بعد ظهر امس »

وفي اليوم الثالث من تلك الزيارة اتتنا دعوة من الراجا دربانكا يذكر فيها ان اللورد كرزن وعقيلتهُ سيشرفان منزلهُ في ليلة الثاني عشر من ذلك الشهر وهو شهر شباط (فبراير) ويدعونا الى مشاركة الحضور في تلك الزيارة . فلما كان الموعد المضروب وهو منتصف الساعة العاشرة من تلك الليلة ركبنا الى دار الراجا المشار اليهِ ولما قربنا منها رأينا على الجدار المحاذي للطريق الوفاً من المصابيح الغازيّة ولما دخلنا الدار رأينا مئات من كبار القوم رجالاً ونساءً وقد ضُرب سرادقٌ عظيم نُصِب فيهِ عرش للّورد كرزن وقرينتـهِ وأُنيرت الدار كلها بالمصابيح والانوار الباهرة وعُلّق شيءٌ كثير منها في الاشجار وعلى الجدران فكان هنالك ما ينيف على عشرة آلاف مصباح تشقّ رداء الليل وتلقي عليهِ بهجة النهار وقد فُرشت الطرق والابواب بالازهار والرياحين . وكان عدد المدعوين نحواً من الفي نسمة وكان الراجا المذكور يقابل الجميع ببشاشة وهو قد لبس حلة مزركشة وفي عنقهِ قلادة نفيسة فيها حجارة ألماس نادرة وكذا في خنصرهِ خاتم الماس بديع لم أرَ مثلهُ البتة وعلى رأسهِ كُمّة مرصعة لها طرّة (شرابة) من اللؤلؤ كبيرة الحجم . ولما رآنا داخلين اقبل نحونا فسلمنا عليهِ بالانكليزية فردّ السلام مرحباً بنا . وفي الساعة العاشرة اقبل اللورد وعقيلتهُ فاستقبلهما الراجا ولما صارا على مقربة من المحفل وقف جميع الحاضرين فحنى رأسهُ مسلماً على الجميع ففعلوا هم كذلك واستلّ عسكر الراجا الواقفون الى اليمين واليسار سيوفهم ورفعوها مسلمين وكانوا عشرة . واذ ذاك جلس اللورد وجلست عقيلتهُ عن شمالهِ والراجا عن يمينهِ ثم وقف عشرٌ من الفتيات الهنديات المغنيات فرحّبت احداهنّ باللورد وعقيلتهِ

باللغة الهندية ثم اخذنَ جميعاً في انشودةٍ هندية بصيغة قدّ من قدود الغنآء وكانت نغمتها من لحن ابي طاهر المشهور في ما بين النهرين بالطوراني وكان ثلاثة من الهنود يلعبون ببعض آلات الطرب مثل العود والكمنجة والطنبور

وكان الراجا قد سبق فهيّأ في كل غرفةٍ من قصرهِ الفسيح الارجآء نوعاً من لُعَب الهنود الغريبة فشاهدنا في احدى تلك الغُرَف امرأة عجوزاً قد تناولت طاساً وصبّت فيهِ مآءً ثم غطّتهُ بمنديل ومدّت يدها بين الطاس والمنديل وشرعت تدمدم وما مضت فترة وجيزة حتى رفعت المنديل فظهر في الطاس اربع سمكات سود

وفي غرفةٍ اخرى شاهدنا رجلاً قد اقام بين يديهِ فتاةً لها من العمر نحو عشر سنوات وكان يتكلم فيخيَّل للسامعين ان آخَر يجاوبهُ تارةً من سقف الحجرة وطوراً من تحت الارض . ثم مدَّد الفتاة معترضةً على رأس عمود دقيق من الخشب فمكثت كذلك نحو ربع ساعة دون حراك واخيراً انزلها عن العمود فوجد انها قد اغمي عليها فحملها الى الخارج ليعرّضها للهوآء

وشاهدنا في احدى الغرف هنديًا قد وضع امامهُ سبع عشرة كأساً من الفرفوري صفّها على شكل نصف دائرة . وكانت الاولى التي عن يمناهُ بحجم فنجان القهوة وما بعدها اكبر فاكبر حتى الاخيرة وقد جعل في كلٍ منها نحو نصفها مآءً . ثم تناول خشبتين دقيقتين في يديهِ طول الواحدة نحو عشرين سنتيمتراً واخذ ينقر على افواه الكؤوس بخفة فكانت تعطي صوتاً مطرباً اشبه باصوات آلات الاوتار (ستأتي البقية)

ملاعب الطبيعة

كيفما التفت الانسان حولهُ يرى من افعال الطبيعة ما يستوقف نظرهُ وفكرهُ ويريهِ من اسرارها وعجائبها ما لا يدرك لهُ حلاًّ ولا يدري الى ايّ ناموسٍ يردّهُ

على ان كل ما في الكون عجيب وجُلّ ما يعلمهُ الانسان من اسرار الموجودات انهُ تنبّه لبعض صفاتها واعراضها وما لها من آثار وانفعالات مما استطاع بهِ ان يعرّفها ويميز بعضها من بعض . لكن هناك كثيراً مما لا يتنبه لهُ الا قليلٌ من الناس او لا يتنبه لهُ الانسان حتى ينبّه فيقف لديهِ حائراً الى ان يتكرر عليهِ فيردّهُ الى افعال الطبيعة واذ ذاك يبطل استغرابهُ لهُ لِما استقرّ في بديهتهِ من ان الطبيعة امّ العجائب . لكن يبقى عليهِ ان يبحث عن الناموس الذي يمكن ردّهُ اليهِ ليجمعهُ الى امثالهِ لان ذلك جُلّ ما يستطيع البلوغ اليهِ بعلمهِ وان كان ذلك الناموس من الاسرار التي لا يدركها

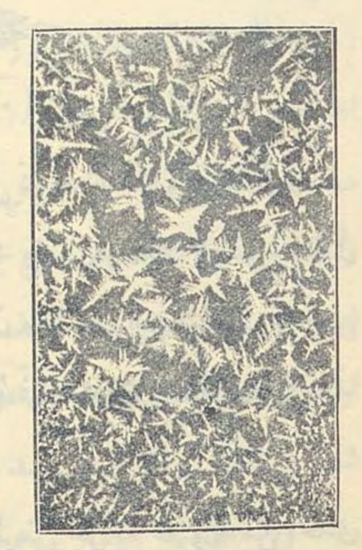
وقد راقب بعضهم مسئلةً هي مما يحدث كل يوم في البلاد الباردة الا انها كانت موضع حيرةٍ لاهل العلم ولم يجدوا لها ناموساً من النواميس المعروفة يردّونها اليهِ . وذلك انهُ في اوقات البرد الشديد يتكون على اغصان النبات وغيرها ضربٌ من الندى المتجمد هو المسمَّى بالصقيع وهذا الندى كثيراً ما يتكون على زجاج النوافذ فيظهر باشكالٍ غريبة مختلفة الهيئات منها ما يشبه النبات الناعم الملتفّ ومنها ما يشبه زغب ريش الطائر او غير ذلك على نحو ما ترى في الشكلين المرسومين هنا وقد اخذناهما من عدة رسوم كلها على

ما ترى من الدقّة والاحكام الى ما يعجز ابرع المصوّرين ان يأتي باجمل منهُ . لكن الغرابة في انفراد كل



واحدٍ من تلك الرسوم عن غيرهِ بحيث لا تجد بينها مجانسةً ولا شبهاً وهي قد تنفرد في اللوح الواحد من الواح الزجاج وقد تجتمع فيكون كل واحدٍ منها في فسحةٍ منهُ مستقلاً عن الآخر

اما كلامهم في هذه المسئلة فلم يتعدّوا فيهِ كيفية تكوُّن الصقيع نفسهِ . وذلك على ما ذكروا ان كل قطرةٍ من



المآء تتكوّن عن تكاثف البخار تحت الصفر تكون بالضرورة سائلةً وان كانت الدرجة درجة الجمود . وفي هذه الحال اذا صادفت موضعاً خشناً تعلقت عليهِ بشكل بلورةٍ مجهرية (مكرسكوبية) من الجليد الا انها مُشبَعة بالبخار فاذا اتفق اذ ذاك ان تهبط درجة الحرارة هبوطاً فجآئياً تجمَّد ذلك البخار فيها فصارت صقيعاً .

وبخلاف ذلك ما اذا هبطت درجة الحرارة بالتدريج والهوآء مُشبَعٌ بالبخار

فان ما يكون فيهِ من البخار يرسب على سطح الارض او على ما جاور سطحها من الاشياء فيصير نَدًى وبعد ذلك اذا تجمد هذا الندى كان على شكلٍ مخالفٍ كل الخلاف لشكل الصقيع وكان مؤلفاً من حُبَيبات من الجليد شفّافة وغير ذات شكلٍ قياسي . ولهم في ذلك اقوالٌ أُخر اضربنا عن ذكرها لقلة فائدتها

وقد تكلف بعضهم تعليلاً لتكوُّن الصقيع على الهيئات المذكورة فزعم انهُ مسببٌ عن طبيعة الزجاج فانهُ من اضعف الموصلات للحرارة على اختلافٍ في درجات ضعفهِ بين موضعٍ وآخر فهو يقاوم حدوث التبلوُر بعض المقاومة . قال وهذا السبب كافٍ عند رسوب البخار على الزجاج لان يُحدِث هذه الرسوم المختلفة والله اعلم

النُوَام

(او مرض النوم)

ذكرنا في مقالةٍ سابقة[1] ملخص فصلٍ نشرهُ الدكتور بُوردآ في وصف هذا المرض الغريب واسبابهِ واعراضهِ . وقد وقفنا بعد ذلك على تقريرٍ مطوَّل رُفع الى ندوة الطب الفرنسوية يتضمن بيان ما انتهت اليهِ مباحث عدةٍ من اكابر الاطباء وفيهِ مزيد ايضاحٍ لما قدّمناهُ فرأينا ان نورد خلاصتهُ في هذا الموضع زيادةً في الفائدة

ومحصَّل ما ذكروا ان سبب هذا المرض جراثيم عضوية من احدى

(١) مجلد السنة السادسة صفحة ٤٨٤

رُتَب النقاعيات المجهرية على ما نقلناهُ هناك . وهذه الجراثيم تتألف من نواةٍ تكون في مؤخَّرها ويتصل بها من جهة المقدَّم شبه سيرٍ دقيق وهي تتنقل بين كُريّات الدم الحمرآء وتدور على نفسها بسرعةٍ غريبة

اما كيفية توالُدها فان الواحدة منها يظهر فيها اولاً نواةٌ ثانية ثم تنفصل عن الاولى فتصبح جرثومةً مستقلة ثم ان كل واحدةٍ من الجرثومتين تنقسم كذلك وهلمّ جرًّا حتى ان الجرثومة الواحدة تنقسم مئة مرة في اليوم

وهي تدخل الجسم بواسطة الذباب المسمى تسّي تسّي واول ما شُوهِد فعلها المَرَضيّ في الدوابّ والبقر والإِبل . فاذا دخلت جسم الحيوان منها اخذتهُ حُمًّى ثم يتورم وتدمع عيناهُ وبعد ذلك يذهب لون اغشيتهِ المخاطية ثم يأخذهُ هزال شديد ويسقط ما عليهِ من شعر او وَبَر ولا يعود يستطيع المشي الا بجهدٍ ومشقّة وتلازمهُ الحمَّى من اول الاصابة فلا تفارقهُ حتى اذا لم يبقَ منهُ الا الجلد والعظام يرزح في مكانهِ ويموت وقد نقصت الكُريّات الحمرآء في دمهِ الربع أو الثلث

وهناك مرضٌ آخر يعرض للخيل فيظهر فيها شللٌ في القسم المؤخَّر وتتقفع ارساغها اي تلتوي حتى يتعذر عليها المشي وتستمرّ على ذلك مدة اربعة الى ستة اشهر واذا كُشِف عن النخاع الشوكي وُجد انهُ على طول اربعة او خمسة سنتيمترات قد تحوّل الى مادّة عسلية حمرآء. ومنها ما يصيبهُ شللٌ في الصُلب فلا يعيش بعد ذلك الا ثمانية ايام اذا كان جيّد الغذآء

وقد امتحنوا الحقن بهذه الجراثيم في انواعٍ شتى من كبار الحيوان وصغارهِ فاختلف فعلها بين نوعٍ وآخر وكان اشدُّهُ في الفئران والهِررة بحيث

لم يأتِ عليها الا ايامٌ قلائل حتى صارت هذه الجراثيم في اجسامها بعدد الكُريّات الحمرآء وماتت بعد سبعة او ثمانية ايام

ثم انهُ قبل السنتين الاخيرتين كان يُظَنّ ان الانسان غير معرَّضٍ لهذا النوع من الجراثيم ولكن عند فحص المصابين بالحمّى الأَجَميّة ظهرت في دمآئهم ثم تبيَّن من فحص الذين يموتون بمرض النوم انها فضلاً عن وجودها في الدم منتشرة في السائل الدماغي الشوكي . فعُلِم من ثَمَّ ان هذين المرضين اي الحمَّى الأَجَميّة والنُوَام يرجعان الى سببٍ واحد وبالتالي انهما مرضٌ واحد لكن تختلف اعراضهُ ومفعولهُ تبعاً لمقرّ تلك الجراثيم من جسم المريض . فاذا بقيت محصورةً في الدم ولم تتعدَّ الى الدماغ حدثت عنها الحمَّى وهي تبتدئ بتورُّم الوجه والمصاب بها قد يُشفَى ولا سيما اذا تُدورِك من اول العلة وقد يموت ولكن بدون ان يبدو عليهِ شيءٌ من اعراض النُوَام . ولكن اذا نفذت الى تلافيف الدماغ لم تلبث ان تظهر اعراض النُوام وكان موت العليل امراً محتَّماً

وهذا المرض شائعٌ في جنوبيّ افريقيا وما يليهِ الى النواحي الاستوآئية منها ولكن الظاهر انهُ غير خاصّ بالزنوج فان امرأةً اوربية هي زوجة احد المبشرين بالكنغو أُصيبت اولاً بالحمَّى الأَجَمية حتى اذا اوشكت ان تبرأ منها ظهرت عليها اعراض النوام وماتت . وكذلك تبيَّن انهُ لا يصاب بهِ من الزنوج الا زنوج افريقيا حتى ان بعضاً منهم هاجروا الى جزُر الانتيل وكان هناك اناسٌ من زنوج افريقيا قد جآءوا تلك البلاد منذ سبع سنين فنقلوا اليهم عدوى المرض وماتوا بهِ واما سائر الزنوج الذين لم يكونوا في افريقيا فلم

يُصَب منهم احد

وقد تقدم ان هذا المرض ينتقل بواسطة النوع المذكور من الذباب وهو يتميز من الذباب العاديّ بانهُ اذا كان واقعاً لا يكون جناحاهُ على شكل مثلَّث ولكن ينطبقان على الجسم انطباقاً تاماً وهو ذو خطمٍ مستطيل يمتدّ في جهة امتداد الجسم ولهُ صوتٌ خاصٌّ بهِ يحكي « تسّي تسّي » ومنهُ أُخذ اسمهُ · وهو يوجد في الجهات الغَمَقيّة بقرب مجاري المياه واكثر ما يكون لسعهُ في وقت المسآء واما في الليل فلا يلسع الا في ضوء القمر

اما الوقاية من هذا المرض فلا سبيل اليها الا باستئصال الذباب الذي ينقل جراثيمهُ وهو من المحال وقد اصطلح بعضهم في وقاية الدوابّ على تغطيتها بالألبسة المانعة من نفوذهِ الى جلودها وهذا مع ما فيهِ من الصعوبة لا يغني تمام الغناء ولكن افضل طريقةٍ لمن يسافر في النواحي المنتشرة فيها هذه الآفة ان لا يسافر الا ليلاً

على انهُ يمكن منعهُ في الجزائر منعاً باتّاً وذلك بان يُقتل كل حيوانٍ مصابٍ بهِ من الحيوانات المجلوبة على حدّ ما كان من رأي پستُور في قطع دابر الكَلَب وهي الطريقة التي امكن بها استئصال الوبآء البقري في جزيرة ياوا · انتهى تحصيلاً

التسمّم بغاز الاستصباح

بقلم حضرة النطاسي الفاضل الدكتور نجيب افندي بدورة

لم تبقَ جريدة الا ذكرت حادثة تسمم المسيو سِفتُون بغاز الاستصباح

ولم تزل المحاكم والأندية السياسية في باريس تتابع بحثها لتعرف هل كانت ثمّت جريمة ام انتحار ام عارض بقضاء وقدر

ولما كانت طريقة التنوير بالغاز قد سرت الى قطرينا المصري والسوري وعمّا قليل ستتم رأيت من الواجب إتحاف قرآء هـذه المجلة الغرآء ببعض الفوائد نقلاً عن بعض المجلات الطبية

وليست حادثة المسيو سفتُون وحيدة في بابها فقد سبقها حوادث مثلها عدَّدها المسيو اتيان مرتيل في مقالةٍ لهُ نشرها في جريدة ليون الطبية منها ان أُسرة بكمالها وُجدت يوماً ما مسممة في مسكنها بغاز الاستصباح لكن لم يمتْ من هذه الأسرة سوى الوالد . ولدى الفحص التشريحي شوهد ان دمهُ يحتوي على كمية وافرة من اكسيد الكربون وقد أسفرت التحقيقات عن تسرّب غاز الاستصباح الى المسكن المذكور بواسطة افلات مجرى غازيّ قريب . ولما كان هذا الغاز في ليون يشتمل على ٨ الى ١٢ في المئة من اكسيد الكربون لم يصعب تعليل التسمّم المذكور

وكلٌّ يعلم كيف قضى الروآئي الشهير اميل زُولا وكيف وُجِد ميتاً في غرفتهِ وقد قدّر جمهور الاطبآء حينئذٍ انهُ سقط عن سريرهِ الى ارض الغرفة فوُجِد غائصاً في طبقةٍ من الهوآء مشبعَة بأكسيد الكربون فقضى مسمّماً بهِ . وقد ترجحت صحة هذا التقدير من رواية رواها المسيو وُلف من درسْد وهي انهُ وجد يوماً في اسطبل جنديًّا وجوادين تعوّدا ان يبيتا في هذا الاسطبل امواتاً في حين انهُ وُجِد في الاسطبل نفسهِ وفي الوقت عينهِ جوادان غريبان واقفان لم يُصابا بضرر البتة . فبحث عن سبب موت

الجندي والجوادين فوجدهُ مسبباً عن افلات مدخنة غاز قريبة ونسب عدم موت الجوادين الغريبين الى ان الجواد اذا بات في غير اسطبلهِ يقضي ليلهُ واقفاً بخلاف الجواد الذي يبيت في اسطبلهِ فانهُ ينام مضطجعاً فلم يبقَ ثمَّت ريب في ان الجوادين اللذين بقيا واقفين لم تبلغ اليهما طبقة الهوآء المسمَّم باكسيد الكربون المنبعث من المدخنة المذكورة

وقد ارتأى بعضهم ان يزيل الرائحة من غاز الاستصباح بحجة انها مزعجة فقامت علمآء الصحة ضد هذا الرأي وقالت ان هذه الرائحة المزعجة التي تنبعث من الغاز المذكور مفيدة بمعنى انها تنبّه الى إفلات الغاز . هذا اذا كان الافلات سريعاً وقوياً فيُنتبَه حينئذٍ اليهِ اما اذا كان بطيئاً وخفيفاً بحيث لا يُشعَر بهِ فانهُ يحدث التسمّم تدريجياً كما جرى ذلك لاحد اطبآء باريس فانهُ بينما كان في غرفتهِ وفيها مستدفأ غاز يتّصل بهِ انبوب مطّاط شَعَر بثقلٍ في دماغهِ ونعاسٍ غالب في جفونهِ وفقدان قوّة في رجليهِ فسقط على الارض وغاب عن الرشد . غير انهُ في سقطتهِ هذه ولحسن حظّهِ لطم زجاج نافذةٍ قريبة منهُ فانكسر وانبعث منهُ الغاز السامّ وبهذه الواسطة نجا الطبيب من موت اكيد

والحوادث من هذا القبيل عديدة وفي اعتقاد المسيو مرتّين ان عدداً ليس بيسير من حوادث الموت الفجآئي المنسوبة غالباً الى الخثرة الدموية (embolus) والانفجار الدماغي وانقطاع الشرايين ليس الاّ حوادث تسمم باكسيد الكربون المنبعث من غاز الاستصباح وغيرهِ

ولما كان الاستصباح بالغاز يزداد يوماً فيوماً في قطرينا وجب الانتباه

الكاي والحذر التام من ان تُترَك حنفيتهُ مفتوحةً ولو قليلاً فان تركها مفتوحة فتحاً تاماً خير من ان تُقفَل اقفالاً ناقصاً لان الرائحة المزعجة التي تنبعث من الحنفية متى كانت مفتوحة فتحاً تاماً تُنبّه الى ذلك ويُستدرَك الضرر واما اذا كان سدّ الحنفية غير محكم فان الغاز يتسرب خفيفاً بحيث لا يُشعَر بهِ فيُشْبَع هواء الغرفة باكسيد الكربون ويحدث التسمم تدريجاً

حسان الارض والسماء

من نظم حضرة الشاعر المتفنن مصطفى صادق افندي الرافعي

أُنبئتُ أن الحور في الفرقدِ فقلت للقلب اليها اصعدِ
وللضلوع انفرجي ساعةً وللجفون انتظري واُسهَدي
وقلت يا صدري تنفَّسْ بما طويتَ من دهري ومن حُسَّدي
فلم يَرُعْ قلبي سوى زفرةٍ طارت بهِ للأُفُقِ الأَبعَدِ

***

يا هذه الحوراء رفقاً فما قلبيَ من طينٍ ولا جلمدِ
القلب ذوب الروح لكن متى تمسَّهُ نار الهوى يُعقَدِ
تالله ما الوردةُ قد اصبحت ترشف من ريق السماء الندي
واختبأت ما بين أوراقها ريحٌ كنفح الزمن الأرغَدِ
وما العيون النُجل قد كُحّلت من إثمِدِ الحسن بلا مِروَدِ
وانبعثت ما بين أجفانها أسرار حد الصارم المُغمَدِ
ولا شفاه الغيد قد أُطبقت على ابتسامٍ كان عن موعدِ

واحتبس الوجدُ بها قبلةً لولا الحيا قد نالها المجتدي
ما كل ذا مُشبِهُ قلبي وما أظهرَ ما في القلب من مقصدِ

***

قالت ليَ الحُورُ أما في الدُّنى من لا ترى مثلك من سيّدِ
تهواك او ترضيك عند الهوى او تستر الحسن ولا تعتدي
نراك ظمآنَ أَلمّا تجد على مياه الأرض من موردِ

***

هيهات قد أصبح معنى الهوى بين الغواني نحو « سوَرْيدي »
يا ربّ من طينٍ خلقتَ الورى من بات في عُدمٍ وفي سُؤدُدِ
فما لحور الارض يهجرننا ان لم نكن من طينة العسجدِ

اسئلة واجوبتها

دمشق — ذكرتم في الجزء الثاني من هذه السنة (ص ٦٨) عن احدى الجرائد ان التين الشوكي يُذهب البق فما المراد بالتين الشوكي

احد المشتركين

الجواب — هو المسمى في البلاد السورية بالصبيّر أو الصبر ويسميهِ الافرنج بتين الهند وتين البربر وتين اسپانيا لمشابهة ثمرهِ لثمر التين ومنهم من يسميهِ بالمِشقة (cardasse) وهي الآلة ذات الاسنان يُمشَق بها الكتان ونحوهُ سُمّي بذلك لمكان شوكهِ والتسمية المصرية تتناول المعنيين

آثار ادبيّة

غراما طيق عربي انكليزي — أُهديت لنا نسخةٌ من مؤلَّفٍ جديد في قواعد صرف العربيـة ونحوها باللغة الانكليزية لحضرة القسّ الفاضل الدكتور روبرت استرلِنْجْ في غزّة جمع فيهِ مهمّات هذين العلمين ونسق قواعدهما على طريقة مؤلفي العرب ولعلهُ اول كتابٍ باللغات الاوربية التزُمت فيهِ هذه الطريقة وهي ولا ريب افضل كثيراً من الطريقة التي اعتادوها من الجري على النسق اللاتيني لانها تسهّل على الدارس البحث في كتب العرب وطلب جزئيات المسائل في ابوابها

وقد تصفحنا جانباً كبيراً من الـكتاب فوجدناهُ حسن الترتيب واضح التعبير وفيهِ كثيرٌ من الجداول الصرفية واللغوية رتّبها على صِيَغ مزيدات الافعال الثلاثية ومشتقّات الاسمآء واوزان المصادر والجموع المكسَّرة فاستوفى فيها قسماً كبيراً من الفاظ اللغة لا يقل عن ٢٤٠٠ كلمة مع ترجمتها الى الانكليزية وفي ذلك من اتّساع فائدة هذا الـكتاب ما لا يخفى

الا اننا عثرنا في اثنآء مطالعتهِ على مواضع لم نجد بدًّا من الاشارة الى بعضها على سبيل التنبيـه . وذلك كما ورد لهُ في الكلام على لفظ الظآء (صفحة ٤) حيث ذكر ان نسبتها الى الطآء كنسبة الثآء الى الذال ولا يخفى البعد بين النسبتين ولعل الصواب كنسبة الذال الى التآء

وكعدّهِ احرف الحلق (ص ٦) تسعةً ذكر منها الستة المشهورة وزاد عليها القاف والـكاف واليآء مع ان القاف والـكاف مخرجهما من بين مؤخر

اللسان وما يحاذيهِ من اعلى الحنك واليآء مخرجها من وسط اللسان

وكما ذكر (ص ٣٠) من ان اصل تَغْزِين تغزِيين بيآءين والصواب تَغْزُوِين لان الفعل واويٌّ من حدّ نصر

وكترجمتهِ الأَزْر (ص ٤٩) بلفظ Waist اي إزار والصحيح ان الأَزر بمعنى الظهر واشتقاق آزَرَ اي عاوَن من هذا المعنى لا من معنى الإزار على حدّ اشتقاق ظاهرَ من الظهر

وكمدّهِ العُرْس بالضمّ في باب ما يذكَّر ويؤنَّث وقد ترجمهُ بلفظ Wedding وانما الذي يذكَّر ويؤنث العِرْس بالكسر بمعنى احد الزوجين يُستعمَل للرجل والمرأة واما العُرْس بالضم فمذكرٌ لا غير

وكقولهِ (ص ١٠١) بيتُ لحم . . بيتُ إيلٍ . . باعراب اللفظين اعراب المتضايفين مع انهما اعجميّا الوضع والتركيب . والوجه فيما كان كذلك ان يركَّب تركيباً مزجياً فيُبنَى الاول على الفتح اذا كان صحيحاً ويجري على الثاني اعراب ما لا ينصرف على حدّ بعلبكّ ومارَسرجس ونحوهما

وهناك اشيآء أُخَر لا نطيل باستيفآئها بعضها من قبيل القواعد وهو قليل وبعضها من قبيل الضبط اللغويّ او النحويّ وهو ايسر خطباً. على ان كل ذلك لا يُسقط شيئاً من مزيّة الكتاب وانما اوردناهُ تذكرةً لحضرة مؤلفهِ الفاضل رجآء ان يُعيد عليهِ نظرة صادقة بحيث لا يترك فيهِ ما ينغّص موردهُ على المستفيد ونحن نثني على حضرتهِ اطيب الثنآء لما يخدم بهِ هذه اللغة بين قومهِ ونرجو لمؤلَّفهِ مزيد النفع والرواج

شبان العصر والصحة — هو عنوان خطابٍ نفيس القاهُ حضرة الفاضل جرجي افندي نقولا باز في جمعية حفظ الصحة العمومية في الكلية السورية في بيروت عدّد فيهِ آفات الشبان في هذا العصر وما هم فيهِ من الايغال في مذاهب الترف والتهافت على ضروب الشهوات واودعهُ من النصائح الحكيمة والعِبَر الزاجرة ما يخلق بكل واحدٍ منهم ان يستضيء بمشكاتهِ ويجعلهُ نجيّ خلواتهِ ورفيق خطواتهِ . فنثني على حضرتهِ ثنآءنا على الجمعية القائمة بهذا المقصد الحميد ونرجو ان يكون لخطابهِ بين شبان العصر ما توخى من الاثر المفيد

هو الباقي

رُزئت اللغة العربية بوفاة الاستاذ الكبير العالم المحقق الشيخ محمد محمود التُركُزي الشنقيطي الشهير وقد اتمّ انفاسهُ في الحادي والثلاثين من الشهر الغابر عن ثمانين سنةً كان فيها مهوى افئدة المُريدين ومرمى ابصار المستفيدين . وكان رحمهُ الله من رجال الزهد والورع قضى حياتهُ منقطعاً في منزلهِ للمطالعة والتوقيف وكان آيةً في سعة المحفوظ عارفاً باخبار العرب وانسابها واشعارها وامثالها مضطلعاً بالغريب من لغتها الى ما كان فيهِ نسيجَ وحدهِ وما يعزّ ان يخلفهُ فيهِ احدٌ من بعدهِ الا انهُ لم يترك اثراً يُذكر بهِ سوى ما كان من تصحيحهِ لبعض كتب اللغة واهمّها كتاب المخصّص لابن سيده ولهُ عليهِ تعليقات تدلّ على سعة روايتهِ وبُعد غورهِ تغمّدهُ الله بفضلهِ واحسانهِ وافرغ عليهِ سحائب لطفهِ ورضوانهِ

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

— ٧ —

ولما فرغ الكولونيل جيرار من قصتهِ توقف عن الكلام واطرق الى الارض ساعةً يتفكر ثم رفع رأسهُ فتنفس تنفساً طويلاً وعاد الى حديثهِ فقال

يخطر لي الآن ايها الاعزآء ان اقص عليكم آخر الحوادث التي صادفتني واني لا افكر في ذلك الا اشعر بانقباضٍ في صدري وحزن في نفسي فلا اكاد املك عواطفي ولا اقوى على امساك عبراتي فان كل ما قصصتهُ عليكم من الوقائع والاخبار لم يكن الا موصلاً الى هذا التاريخ الاخير الذي يملأ النفس من الشعور المحزن . ولقد صدق القائل ان الانسان كالارنب يركض في دائرةٍ حتى اذا انتهى الى حيث ابتدأ يقع فيموت ويُنسى . واني شاعرٌ بما وصلت اليهِ بعد ما لقيتهُ من المهالك وما قاسيتهُ من الاخطار واسمع صوتاً خفيًّا يدعوني للرجوع الى غسقونيا مسقط رأسي لانضم الى رفات آبآئي فلا يبقى بعدي من يروي حوادث تلك الاعصر التي كانت فيها فرنسا عرش مملكة العالم وامبراطورنا المحبوب المالك الوحيد المتسلط على عامة الكرة الارضية . فلا تحزنوا ايها الاخوان اذا ودعتكم ولم تروا وجهي بعد الآن فلكل شيء نهاية ولا بد للانسان مهما عُمّر ان يصل بعد مسيرهِ الى ذلك المنعطف الذي يفضي بهِ الى عالم الابدية وقد سار امامي على تلك الطريق امبراطورنا المحبوب وتبعتهُ مارشاليتهُ فعلامَ ابقى انا . غير اني اودّ قبل مفارقتي اياكم ان اقص عليكم حادثاً ليس من الوقائع الخاصة التي حصلت لي بل هو

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

تاريخٌ سرّيٌ ختمت شفتيَّ عليهِ كل هذه المدة الماضية اما الان وقد مضى كل شيء فلم يعد من مانع يمنع ان ابوح بهِ ولا سيما لانهُ يجب تدوينهُ على صفحات التاريخ فاذا دُفن جيرار ودُفن هذا السر معهُ حرم العالم اجمع معرفة حقيقةٍ راهنة ذات اهمية عظيمة

لا بد من العودة معي الى سنة ١٨٢١ وهي السنة السادسة لأفول نجم امبراطورنا المحبوب واحتجابهِ عن عيوننا . ولقد كنا نحن معشر انصارهِ ومريديهِ منذ غاب عنا لا نشعر بشيء من السرور بل كانت افئدتنا رازحةً تحت اعباء الهموم والاحزان لدى تصورنا تلك النفس الابية والعزة السامية في منفاها البعيد تقترب شيئاً فشيئاً الى القبر . ولم تفارقنا افكارنا هذه لا ليلاً ولا نهاراً بل كنا نود من كل قلوبنا ان نسفك آخر قطرةٍ من دمائنا في سبيل اعادة مجدهِ وسرورهِ وحريتهِ . ولكننا لم نكن نستطيع سوى مساعدتهِ بالفكر فقط والجلوس طول الايام في الاندية نحسب الاميال التي تفصل بيننا ولعلنا لم نكن نقدر على غير ذلك لكوننا فرسان مواقع ولسنا من ابطال البحار . وكان يزيد حزننا وجودنا بدون عمل وآمالنا في العودة الى مراكزنا العسكرية لو عاد نابوليون لاننا لم نكن نرغب في خدمة البوربون ولا بذل يمين الطاعة لهم لئلا يجبرنا ذلك على مناوأة الشخص الذي نعبدهُ والذي نحن لهُ . فبقينا بدون عمل ولا مال نختلف الى مجتمعاتنا فنتبادل الحسرات والتنهدات . وكنا نروي غليلنا بعض الاحيان بمقاتلة بعض افراد الحرس الملكي فاذا قتلناهُ عدنا مسرورين معتقدين اننا انما فعلنا ذلك اخذاً بثأر امبراطورنا العزيز المبعد عنا وعن وطنهِ

وكان لنا نادٍ نختلف اليهِ نحن جماعة الضباط الباقين على ولاء نابوليون فنقضي النهار في الحديث والليل في السمر متوقعين رجوع نابوليون لنسير في ركابهِ ونوصلهُ الى عرشهِ ولاسيما بعد ان طُرد البوربون ثالث مرةٍ من فرنسا . فلما كنا في احدى الليالي من شهر فبراير فتح باب النادي ودخل منهُ رجل نحيف البنية قصير القامة عريض المنكبين لهُ رأسٌ كبير وعلى وجههِ آثار الجراح العديدة يسترها شعر لحيتهِ

الخفيف المرخى كشعور النوتية . وكان في اذنيهِ قرطان من الذهب وكفاهُ منقوشتان بالوشم مما دلنا على انهُ من رجال البحرية قبل ان يعرّفنا بنفسهِ انهُ الربان فورنو من بحرية الامبراطور . ولما استقر بهِ الجلوس قدم كتابَي توصية لاثنين منا وكنا جميعنا قد اعجبنا ببراعتهِ وتحققنا اخلاصهُ لما سمعناهُ منهُ وعنهُ مما ابداهُ في كثير من المعارك ولا سيما في المعركة البحرية الاخيرة المعروفة بواقعة النيل حين أُحرقت المدرعة اوريان ولم يتركها حتى نسفت ثم غابت في اللجج . و بعد ان تم التعارف بيننا و بينهُ انفرد في جانب الغرفة يسمع حديثنا ولا ينبس ببنت شفة وكان يراقب حركاتنا ويصغي الى حديثنا بتمام الانتباه . وبقي بعد ذلك يتردد علينا في كل مسآء ونحن لا نسمع منهُ شيئاً ولا نرى لهُ الا نظراتٍ احدّ من السيف تجول من الواحد الى الآخر وكانها اسهم تخترق صدورنا لتطلع على ما فيها

وفي ذات ليلةٍ خرجت من النادي ولم ابتعد عنهُ حتى شعرت بيد قبضت على ذراعي فنظرت واذا بالربان فورنو وكان قد تبعني فقادني وسرنا صامتين الى ان ابتعدنا مسافةً ووصلنا الى محل اقامتهِ فقال تفضل وادخل معي يا صاح فان لي كلاماً اقولهُ لك . فتبعتهُ طائعاً ورقينا سلماً اوصلنا الى غرفتهِ فانار مصباحاً ودفع اليَّ بطاقةً علمت من تلاوتها انها كتبت منذ بضعة اشهر من قصر شونبرون في ڤينا وفيها ما يأتي

« ان الربان فورنو ساعٍ في قضآء اهم مصالح الامبراطور نابوليون فعلى الذين يحبون الامبراطور ان يطيعوهُ طاعة عميآء ويساعدوهُ بدون سؤال »

« ماري لويز »

وكنت اعرف توقيع الامبراطورة جيداً فلم اشك في صحة الكتابة انها منها . ثم قال لي الربان هل انت واثقٌ بي . قلت كل الثقة . قال وهل انت مستعدٌّ لتتلقى اوامري وتقوم بها قلت نعم . قال سمعتك تقول في النادي انك تعرف الانكليزية فهل تقدر ان تقول لي عبارة في تلك اللغة . فقدحت زناد الفكرة وكلمتهُ فيها بما يدل على رغبتي في خدمة الامبراطور وسفك دمي من اجله . فتبسم عند ما سمع لفظي

وتعبيري ثم قال هذا الكلام لا يسمى انكليزيًّا ولكنهُ على كل حال احسن من لا شيء . اما انا فانني اتكلم بهذه اللغة كابنآئها تماماً لانني قضيت ست سنوات في سجون انكلترا . اما الغرض من مجيئي الى باريس فهو ان اجد مساعداً يمكن الاتكال عليهِ لقضاء امر يهم الامبراطور جدًّا وقد قيل لي ان نخبة رجال ذلك الرجل العظيم يجتمعون في النادي فزرتكم وقضيت اياماً افحصكم جميعاً فوجدتك دون سواك الرجل الوحيد اللائق للقيام بمطلوبي . فشكرت تجملهُ وقلت لهُ هل لك ان تعلمني ماذا يُطلب مني . قال اني بعد ان أُطلق سراحي في انكلترا لبثت مقيماً بها وتزوجت فتاة انكليزية ثم جمعت مالاً واشتريت بهِ سفينة تجارية انكليزية توليت تسييرها بين سوثمبثون وشواطئ غينيا وصرت معدوداً بين ذلك الشعب كواحدٍ منهُ . وان حبي للامبراطور لم ينزع من صدري فانا اقضي اكثر اوقاتي وهو لا يغيب عن فكري واحب ان يكون لي رفيقٌ يشاطرني تلك الافكار ولا سيما في عزلة البحر ووحدتهِ فاطلب منك ان تصاحبني بضعة اشهر وسأشاطرك غرفتي وأوكد لك اننا سنسرّ جدًّا بتسلية احدنا الآخر . وكان يقول ذلك وهو يرمقني بنظرٍ كأنهُ مصباح كهربآئي يدفعهُ الى اعماق صدري ليقرأ ما يجول في فكري . ثم اخرج من جيبهِ كيساً ثقيلاً من النقود وضعهُ امامي وقال في هذا الكيس مئة قطعة ذهبية أعدد بها ما يلزمك من حوائج السفر وان سمعت نصحي فلا تبتع شيئاً الا في سوثمبثون ولا تنسَ ان مركبي يدعى الاوزّة السودآء . اما إنا فسأرجع الى سوثمبثون غداً وانتظرك الى اواسط الاسبوع القادم لنقلع من هناك . قلت سمعاً وطاعةً ولكن هل لك ان تفيدني عن الوجهة التي سنقصدها . قال اظنني اعلمتك اننا نقصد شواطئ غينيا الافريقية . قلت وكيف يتعلق سفرنا هذا بما يهم الامبراطور . قال يهم الامبراطور جدًّا ان لا تسألني عن امور لا يمكنني ان اجيبك عنها . ولما قال هذا حوَّل ظهرهُ فعلمت ان المقابلة قد انتهت فخرجت وسرت الى غرفتي وانا متعجب مما حصل ولو لم اشعر بثقل كيس النقود وأرَ ذهبهُ الوهاج لم اكذّب انني كنت في حلم

لا اظنكم تجهلون اقدامي على تجشم المشاق ورغبتي في اقتفآء اثر الحوادث وقد

رأيت في ما ذكرت دافعاً يجبرني على تتبع الامر الى آخرهِ ولا سيما وان فيهِ شيئاً يتعلق بالامبراطور فلم البث ان تأهبت للسفر وتركت باريس في الاسبوع التالي فبلغت سانت مالو وابحرت منها الى سوثمبثون. ولم اصادف صعوبة في معرفة الاوزّة السوداء فذهبت اليها ووجدت على ظهرها عدة نوتية ضخام الاجسام يعدونها للسفر وقد وقف الربان فورنو يلقنهم الاوامر ويلاحظ اعمالهم. فلما رآني قابلني مصافحاً ثم اخذني الى غرفتهِ الخصوصية وقال لي يجب ان تكون من الآن المسيو جيرار لا الكولونيل وان تجتهد في نسيان حركاتك العسكرية ويحسن بك ان تقصر شاربيك وتطيل لحيتك تمثلاً برجال البحر. فاستأت من كلامهِ الاخير جدًّا ولكنني عدت فافتكرت انهُ لا يكون معنا في هذا السفر احد من ربات الجنس اللطيف فلا بأس من تشويه منظري بتقصير شاربيَّ. ثم قرع جرساً فاتاهُ فتى قوي البنية تدل هيئتهُ على الاقدام والجسارة فقال لي هذا وكيلي غستاف وكاتم اسراري فثق بهِ ثم اشار اليَّ وخاطب غستاف قائلاً ان صديقي المسيو جيرار يرافقنا في هذه السياحة فحافظ عليهِ كشخصي تماماً. وبعد ذلك قادوني الى غرفتي بجانب غرفة الربان فألفيتها في غاية الرحب والاتقان ولا تنقص عن تلك الا في نفاسة فرشها فعلمت ان الربان مترفه جدًّا لما رأيت في غرفتهِ من المفروشات الحريرية والاثاث الثمين الذي يضاهي ما كنت اراهُ في اللوفر. فعجبت جدًّا وبهرت مما رأيتهُ فيها من الآنية الفضية والذهبية واستكبرت ذلك على ربان مركب تجاري ولكنني كنت اعي كل ما ارى واسمع في صدري فانظر نظر المنتقد المحترس. وعلمت انهُ يوجد على ظهر المركب الربان وثانيهِ وثالثهُ وتسعة من النوتية بينهم فتًى ومنهم ثلاثة بصفة سائحين نظيري. ولم يخفَ عليَّ استغراب ثاني الربان لسفري لانهُ قابلني مرةً فقال لي ما غرضك من المجيء معنا قلت هو مجرد السياحة. قال وهل سافرت الى الشواطئ الغربية قبل الآن قلت لا. فقال متبسماً ولا اظنك تعود الى ذلك مدى العمر

وبعد ثلاثة ايام من وصولي الى سوثمبثون اقلعت بنا السفينة فما بلغت بنا عرض

البحر حتى شعرت بدوارٍ لاني لم اعتد ركوبهُ فلزمت غرفتي الى اليوم الخامس حتى الفت حركة السفينة وخف عني الدوار فخرجت من غرفتي الى ظهر المركب وهب في وجهي نسيمٌ عليل اعادني الى صحتي العادية . وكان شعر وجهي قد اخذ في النمو فكنت اجول بين النوتية واساعدهم ولا اشك انني كنت اكون بحريًّا ماهراً لو دخلت في تلك الخدمة من اول حياتي لان الربان فورنو نفسهُ شهد لي وأُعجب ببراعتي في سحب الشراع وادارة السكان (الدفة) واعمال المجاذيف . اما اكثر اوقاتي فكنت اصرفها في غرفة الربان حيث اشاركهُ في تقطيع الوقت بالالعاب ورأيت لزوم وجودي معهُ لانهُ لم يكن في جميع رجالهِ من يحسن القرآءة او الكتابة فكان يخطر لي انهُ لو مات ذلك الربان لتهنا في الاوقيانوس الواسع ولم يوجد من يعرف اين نحن ولا الى اين نسير . وكان في غرفتهِ خريطة يرسم عليها كل يوم النقطة التي بلغناها فكنا نعرف منها كيف نسير واين نحن . وقد استغربت جدًّا مهارتهُ في معرفة ذلك ونحن بين المآء والسمآء لا جبال يستدَلّ منها ولا سهول تُستقرَى فيها الآثار ومع ذلك فانهُ تنبأ لي في ذات صباح فقال اننا سنمر امام الرأس الاخضر بعد غروب الشمس فكان كذلك وما اظلمت الدنيا حتى رأينا انوار ذلك الرأس الى يسارنا . ولكننا ما اصبحنا حتى كنا قد ابتعدنا عنهُ وعدنا الى التيه فوق سطح اليم واعلمني ثاني الربان اننا لا نرى البر بعد ذلك الا متى وصلنا الى خليج بيافرا الذي نقصدهُ لمشترى زيت النخل مقايضةً بما تشحن السفينة من الانسجة المصبوغة والاسلحة القديمة والخرز الذي يتاجر به المتوحشون . واتفق ان هدأت الريح فكنا نحمل على غارب الامواج متقدمين الى الجنوب ونحن لا ندري عن محل وجودنا الا ما كان يرسمهُ فورنو على الخريطة المتقدم ذكرها

وبعد نحو ثلاثة ايام رأيت ثاني الربان قد بانت عليهِ علائم القلق واشتغال البال فكان ينتقل من فحص الخريطة الى النظر في الافق وهو كالمأخوذ . وفي ذلك المسآء كنت مع الربان في غرفتهِ نلعب بالورق فاذا بهِ قد دخل فجأةً وعلى وجههِ امارات الغيظ فقال للربان هل تعرف الجهة التي نسير فيها . فقال الربان بدون انتباه

نحن سائرون الى الجنوب يا صاح . قال ولكن كان يجب ان نتجه شرقاً لانني اعرف الطريق تماماً وقد سلكتها مذ كنت فتًى وأعلم الآن اننا لسنا في الخط الذي يجب اتباعهُ . فرمى الربان بورقهِ الى المائدة ونهض اليهِ فقال لهُ تعال اريك الخط الذي نحن سائرون فيهِ على الخريطة فتبعهُ ذاك ووقف الاثنان ينظران اليها . فقال الربان هذا هو الشاطئ الذي نقصدهُ وهذا هو المحل الذي نحن فيهِ وهذا هو الرجل الذي يحكم مركبهُ حكماً لا ينازَع فيهِ . ولما قال هذا قبض على عنق الرجل بكلتا يديهِ حتى لم يستطع ذاك ان ينطق ببنت شفة فسقط الى الارض فاقد الرشد . ودخل في تلك الدقيقة وكيل الربان غستاف فشد وثاقهُ وسد فاهُ بمنديل حتى اصبح المسكين بين ايديهما كقطعةٍ من خشب لا ارادة لهُ ولا حراك . وكان بودهما ان يلقياهُ في البحر فلم احتمل مثل ذلك الظلم وتداخلت في امرهِ فاذعن لي الربان وبعد ان تحقق وثاقهُ بنفسهِ نقلهُ بمساعدة وكيلهِ الى احد مخازن المركب والقاهُ بين صناديق البضاعة . ولما فرغا من هذه المهمة قال الربان لوكيلهِ غستاف لا ينبغي ان نترك العمل بعد ان بدأنا بهِ فارسل لي الربان الثالث في الحال . وبعد بضع دقائق دخل الشخص المطلوب وما كاد يبلغ منتصف الغرفة حتى اطبق عليهِ الربان وغستاف ففعلا بهِ كما فعلا بالاول وبعد ان اوثقاهُ وثاقاً شديداً القياهُ في المخزن الى جانب رفيقهِ . ثم عاد اليَّ فورنو فقال انهُ لم يكن بدٌّ من هذا العمل ولكنني كنت اوثر تأخيرهُ لو لم تقضِ بهِ الضرورة . ثم نظر الى غستاف وقال لهُ خذ برميلاً من البرندي للنوتية وقل لهم يشربوا على صحة ربانهم فبذلك نأمن شرهم . اما رجالنا فاجمعهم الى غرفتك لنكون على ثقة من عزمهم على العمل ولا تؤاخذني يا حضرة العزيز جيرار على ما حصل وتعالَ نتمم اللعب

وعجبت جدًّا عند ما رأيت هذا الرجل الحديدي قد عاد الى اللعب بتمام السكينة كأنهُ لم يحصل شيء البتة فعدنا الى ما كنا عليهِ وكنا نسمع ضجيج النوتية على اثر المشروب الذي ارسلهُ لهم فورنو . وما زلنا سائرين والريح تدفع مركبنا بيطء الى الهزيع الرابع من الليل فنهض فورنو وقال اظن ان النوتية قد اصبحوا في حالة توافق

غرضنا فهلمَّ بنا . ولما قال هذا فتح صندوقاً اخرج منهُ مسدسين ناولني واحداً منهما وسار امامي فتبعتهُ الى حيث كان النوتية فلم نلقَ بينهم اقل مقاومة لان الانكليزي اذا كان صاحياً فهو اسدٌ لا يغلب ولكن اذا وضعت امامهُ الشراب ابى الاكتفاء منهُ وتناولهُ بشرهٍ قد يفضي بهِ الى الموت . ولما دخلنا الغرفة المجموعين فيها وجدنا خمسة منهم قد اصبحوا كالاموات واثنين في نهاية السكر يصيحان ويغنيان كالمجانين . وكان غستاف قد اعد حبالاً فاندفعنا على الثلاثة وبمساعدة اثنين من النوتية الذين كانوا سائحين نظيري تمكنا من ايثاق جميع النوتية في وقت قصير والقيناهم الى الغرفة لا يبدون حراكاً ولا ينطقون بكلمة ووكلنا غستاف بهم وهكذا اصبح المركب بكل ما فيهِ تحت امرتنا بدون ادنى معارض . ولو صادفنا هياجٌ في البحر لافتقرنا الى مساعدين بالرغم عنا ولكن الاحوال ساعدتنا وكان البحر هادئاً فكان المركب يمخر بنا بسهولةٍ كالغادة في ساحة المخاصرة . وما زلنا على هذه الحالة الى اليوم الثالث فصعدت من غرفتي الى ظهر المركب فوجدت الربان فورنو ينظر الى الافق عن جانب المركب ولما شعر بي ناداني وقال هل ترى شيئاً يا عزيزي جيرار . فحدقت ببصري فرأيت شيئاً يظهر عند حد البحر كغيمةٍ مرتفعة من المياه فقلت لهُ ارى شيئاً ولا اعلم ما هو . قال هذا هو البر الذي نقصدهُ . قلت واي برٍّ تعني . قال ارض جزيرة القديسة هيلانة

وما قرعت اذنيَّ كلماتهُ وفهمت ذلك الاسم حتى شعرت بقوة كهربائية اصابني مجراها فاهتزَّ لها جسمي وتصورت الجزيرة قفصاً قد حبسوا فيهِ نسرنا الفرنسوي وان كل تلك المسافة والاميال البحرية لم تمنع جيرار من الاقتراب الى مولاهُ الذي يحبهُ . فشعرت ان عينيَّ تودَّان الخروج من وجهي لتطيرا الى تلك الجزيرة ورفعت ذراعيَّ الى الهواء كانني اود ان ادفع المركب ليصل بسرعة فاقابل نابوليون المحبوب واخبرهُ انهُ لم يُنسَ وانهُ بعد ذلك الغياب الطويل قد تبعهُ احد عبيدهِ الامناء واشدهم اخلاصاً . ولم اعد استطيع تحويل نظري عن تلك الجهة حتى غابت الشمس واشتدَّ الظلام فلم اعد ارى شيئاً فجثوت على ظهر المركب موجهاً نظري الى تلك الناحية

يخترق الظلام الدامس حيث تراءى لي اني ارى امبراطوري المحبوب . ومرَّت عليَّ ساعاتٌ وانا على تلك الحالة فرأيت نوراً ضعيفاً ينبعث من ذلك البعد فمددت ذراعيَّ اللتين وان كانتا ذراعي الكولونيل جيرار فهما تنوبان عن فرنسا باسرها

وكان الربان فورنو قد امر فاطفأوا جميع مصابيح المركب وشد النوتية حبل الشراع الاوسط فوقف مسيرنا ثم ناداني فورنو الى غرفتهِ واقفل بابهُ . ولما جلسنا بدأ بحديثـهِ فقال لا شك انك ادركت كل شيء يا عزيزي جيرار وارجو منك المعذرة على اني لم اطلعك على الحقيقة منذ البدآءة لانني في المهام الضرورية لا اعتمد على ثقة احد . فاعلم انني من زمن مديد اسعى في انقاذ امبراطورنا العزيز ولم يكن بقآئي في انكلترا ومخالطتي شعبها الا تسهيلاً لادراك هذه الغاية وقد تم كل ذلك حتى الآن على ما اريد . وكنت قد استحضرت غستاف والنوتية الثلاثة الذين من حزبنا بعد طول الاختبار والفحص . اما احضاري اياك فلم يكن الا لاعتمد على بطل مجرب لو صادفنا ما لم يكن في الحسبان وليكون للامبراطور رفيقاً يليق بهِ في رجوعهِ الى الوطن . ولم ازيّن غرفتي بهذه المفروشات والمعدات الا لاستقبالهِ ولي الامل الوطيد انهُ لا تبزغ شمس الصباح حتى يكون جلالتهُ في هذه الغرفة ويكون المركب بعيداً عن هذه الجزيرة

ولا اصف لكم ما تردد في فكري من الشعور والعواطف عنـد سماعي ذلك فعانقت فورنو مليًّا حتى كدت اوقعهُ الى الارض. ثم سألتهُ عن الطريقة التي يرجو مساعدتي لهُ فيها فقال انني افوض اليك كل شيء وكنت اود ان اكون انا الاول في تقديم اخلاصي لجلالتهِ ولكن ليس من الصواب ان اترك مركزي هنا لان دلائل الجوّ تشير الى امكان حصول زوبعة شديدة بعد قليل . وفوق ذلك فان على جانبينا ثلاث طرادات انكليزية ونخشى ان تطبق علينا فجأةً فمن الواجب ان ابقى على حراسة مركبي ريثما تأتي انت بالامبراطور . فأثرت فيَّ هـذه الكلمات حتى ترنحت كالسكران وصحت قائلاً فما الذي ينبغي لي ان اصنعهُ الآن . قال قد انزلنا قارباً صغيراً تركب فيهِ ولكنني لا اقدر ان استغني الا عن نوتي واحد يوصلك

الى الشاطئ وينتظر عودتك فاذا بلغت الشاطئ فاقصد ذلك النور الذي تراهُ امامنا فهو نور البيت الموجود فيهِ نابوليون وكل من فيهِ من اصفيآئنا الذين يُعتمد على مساعدتهم في خلاصهِ . ويعترض طريقك حاجز من الحرس ولكنهُ بعيد عن البيت فاذا اخترقته وبلغت محل قصدك فاطلع الامبراطور على خطتنا وسر بهِ الى القارب واحضرهُ الى هنا

وكنت اتلقى اوامر صديقي فورنو بسرور واعجاب لان نابوليون نفسهُ لم يكن يعطي اوامرهُ باكثر منهُ اختصاراً ووضوحاً . ورأيت انهُ يجب ان لا نضيع دقيقة واحدة وكان القارب والنوتي في انتظاري فوثبت الى القارب فاندفع بنا فوق تلك المياه المظلمة وهو كريشةٍ في مهب الريح . وكان نظري الشاخص الى النور المنبعث من البيت المذكور قد منعني من الافتكار بغير ذلك فلم انتبه الى نفسي الا عند ما لامس القارب البر . وكانت تلك الناحية مقفرة لم نسمع فيها حركة فتركت القارب لحراسة النوتي واخذت في تسلق الرابية الصخرية . وكانت المواشي التي ترعى في تلك الناحية قد تركت لها طريقاً هناك اهتديت بهِ وتبعتهُ حتى بلغت باباً لم يكن عليهِ حرس فوجدتهُ فافضى بي الى باب آخر دخلتهُ ايضاً وانا اعجب من عدم مصادفتي الحرس الذين ذكرهم فورنو . ثم ابرق لي النور ثانيةً فطارت نفسي شعاعاً واجتهدت في التستر ما امكن وأعرت اذناً صاغية فلم اسمع اقل حركة . ثم تقدمت ببطء فظهر لي البيت فوجدتهُ منخفضاً مستطيلاً لهُ رواق ورأيت رجلاً يسير ذهاباً واياباً امام المدخل فانسللت بخفةٍ لأتبينهُ وقد ظننتهُ ذلك اللعين هدسن لو حاكم الجزيرة وكنت مسروراً بمجرد افتكاري في خلاص الامبراطور والانتقام لهُ . ولكنني ما عتمت ان رأيت ذلك الشبح قد وقف امام نافذةٍ ينبعث منها النور فوجدتهُ راهباً فعجبت من وجودهِ هناك في الساعة الثانية بعد نصف الليل ووددت لو اعلم هل هو فرنسويّ ام انكليزي وهل هو من اصفيآئنا الذين ذكرهم فورنو . ثم تقدمت ايضاً وفي تلك الدقيقة فتح الكاهن باباً ودخل الغرفة وكانت منوَّرة فعلمت ان ساعة العمل قد ازفت ولا ينبغي اضاعتها فانحنيت واسرعت حتى بلغت النافذة

ورفعت رأسي واسترقت النظر الى الداخل فوقعت عيني على الامبراطور متوسداً سريرهُ وقد فارق الحياة

وتوقف جيرار عن الكلام هنيهةً ريثما مسح دموعهُ ثم قال اعذروني ايها الاعزآء فانني لا ازال اشعر بتلك الضربة التي زعزعت جسدي الحديدي ولما رأيت ذلك المنظر سقطت الى الارض كأن رصاصةً اخترقت صدري ورأسي وانا متعجب من وجودي حيًّا بعد تلك الساعة. ولكنني لبثت منطرحاً على الارض نحو نصف ساعة ثم نهضت بارتعاش وكانت اسناني تصطكّ وعيناي الغائرتان شاخصتين كعيون المجانين الى غرفة الموت. وكان بطلنا المحبوب ملقىً على نعش في وسط الغرفة وقد ارتسمت على وجههِ امارات الهدو والسكون والعظمة فلم تفقد هيئتهُ تلك القوة الفائقة التي كانت تنفخ في قلوبنا نار القوة ابان الحرب. وكانت شفتاهُ قد انفتحتا بتبسم لطيف وعيناهُ لم تكونا مطبقتين تماماً فظهرتا كأنهما تنظران اليَّ. اما جسمهُ فكان اسمن مما رأيتهُ آخر مرة في واترلوو بالاجمال فقد كان مثال الهيبة والوقار. وكان على جانبي النعش شموعٌ موقدة وهي التي ظهر لنا نورها في عرض البحر وكان دليلنا اليهِ وحسبناهُ نجم السعادة والامل

ولما بدأت املك رشدي رأيت اشخاصاً كثيرين جاثين في غرفة الميت وتبينتهم فاذا هم رجال بلاطهِ الصغير في ذلك السجن المميت وبينهم برتران وزوجتهُ والكاهن ومنتولون وغيرهم. وخطر لي ان ادخل فاجثو بجانبهم واصلي عن تلك الروح الشريفة غير ان دعة الصلاة لم ترافقني في ذلك الموقف وعلمت انهُ يجب عليَّ الاسراع في الرجوع ولكن كيف ارجع ولا اترك علامة تدل على وجودي. ولما خطر لي ذلك لم اعد اهتم بالحاضرين فانتصبت امام قائدي الميت واقفاً الوقفة العسكرية ورفعت يدي الى رأسي محيياً التحية العسكرية الاخيرة ثم حوّلت ظهري وسرت تخفيني الظلمة وقد رُسم على شبكية عيني ذلك الوجه المصفرّ والشفتان المبتسمتان والعينان الحزينتان

وبلغت البحر وانا اظن انني لم اغب الا بضع دقائق فلم انتبه الى تضجر النوتي من طول غيابي. ولما ركبنا القارب كانت قد هبت ريح عاصفة رفعت امواج اليم

لمقاومتنا فكنا كلما اجتهدنا في الابتعاد عن الشاطئ ترجعنا اليهِ الامواج وبعد المحاولة مراراً رفعتنا موجة فالقتنا على صخرٍ ثقب قعر القارب فدخلتهُ المياه واضطررنا الى الانتظار بجانبهِ على ذلك الصخر الى ان لاح الفجر فلم نقف للسفينة على اثر. فعدت الى تسلق الصخور الشاهقة لعلي اعرف ما صارت اليهِ فلم يظهر لي ادنى اثر على سطح ذلك الاوقيانوس المتسع ولم اعلم هل غرقت او تمكن نوتيتها الانكليز من قطع قيودهم وامتلكوها وكان ذلك آخر عهدي بها وبالربان فورنو الذي كنت اشتهي جدًّا ان اقابلهُ لاطلعهُ على ما كان من امر مهمتي . ولما قطعنا الامل من النجاة سلمت نفسي ورفيقي الى الانكليز بحجة اننا كنا مسافرين وانكسرت سفينتنا ولم ينجُ منها احد سوانا فقبلونا باكرامهم المعتاد واضافونا بكرم عظيم ولكنهُ لم يتسنَّ لي ترك الجزيرة في الحال بل اضطررت الى البقآء فيها عدة اشهر قبل ان تيسر لي مركب اقلني الى الارض التي لا يرى الفرنسوي سعادة وسروراً الا فيها

والآن ايها الاعزآء قد اخبرتكم كيف ودعت مولاي الوداع الاخير فيجب ان اودعكم ايضاً شاكراً اصغآءكم لحديثي وشعوركم مع جندي قديم كسير القلب . واراكم صحبتموني الى روسيا وايطاليا والمانيا واسبانيا والبرتوغال وانكلترا ورأيتم معي ما رأيت وما قاسيت وعلمتم شيئاً عن ابطال تلك الايام الذين كانت تهتز الارض لوقع اقدامهم فاحفظوا هذه الذكرى وبلغوها لبنيكم بعدكم فان ذكرى تلك الاعصر لاعظم كنزٍ يفاخر بهِ الجندي ويتركهُ كاعظم ارثٍ لبنيهِ . وسأفارقكم الآن عائداً الى غسقونيا مسقط رأسي غير انني اترك لكم كلماتي هذه وانا متعزٍّ بانهُ متى مات الكولونيل جيرار وفقد تنفسهُ وصوتهُ واشاراتهُ فلا تزال اعمالهُ تتلى بينكم وذكراهُ تعاد في اجتماعاتكم فعلى هذا الامل وبهذا الرجآء يقف الكولونيل جيرار الجندي القديم امامكم ايها الاصحاب ليقول لكم استودعكم الله